تفريغ شرح الأصول الثلاثة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس التاسع)

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فيسر إخوانكم في شبكة وإذاعة إمام دار الهجرة العلمية وضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي لفضيلة الشيخ حامد بن خميس الجنيبي –حفظه الله– نقدم لكم هده المادة العلمية والتي نسأل الله تعالى أن ينفع بها الجميع.

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علمًا، اللهمَّ اجعل ما نقوله حجةً لنا ولا تجعله حجةً علينا، اللهم اجعله خالصًا لوجهك الكريم، اللهمَّ انفعنا به وارفعنا به وانفع به يا ذا الجلال و الإكرام.

فهذا هو المجلس العاشر من مجالس التعليق على رسالة ثلاثة الأصول للإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –عليه رحمة الله تعالى و أسكنه فسيح جناته–.

ونحن كنا قد تكلمنا في الدرس الماضي عن مرتبة الإيمان. وفي هذا اليوم –إن شاء الله– نتكلم بما ييسّره ربّنا –سبحانه وتعالى– على مرتبة الإحسان.

نسأل الله –سبحانه وتعالى – أن يكون ذلك لوجهه الكريم وأن يهيئ كلمة صدقٍ وكلمة حقٍّ مما يحبه ويرضاه –سبحانه وتعالى– فلعلنا إن شاء الله نشرع في الدرس.

[المتن]

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

[الشرح]

يقول المصنف –رحمه الله تعالى-: (**المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ**) والإحسان قد عرَّفه المصنف بما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: **" أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنّكَ تَرَاه، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاك"**.

والإحسان في اللغة: هو إجادة العمل وإخلاصه وإتقانه.

ويراد به في الشرع: دوام مراقبة العبد لربه –سبحانه وتعالى-.

وأحسن ما يُعرَّف به ما ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: **" أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنّكَ تَرَاه، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاك"**، وسيأتي شيء من البيان لقول النبي صلى الله عليه وسلم.

وظاهر كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن الإحسان له مقامان:

المقام الأكمل: أن تعبد الله كأنك تراه.

والمقام الثاني –والذي هو دون الأول-: فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ولّما كان هذان المقامان قد عُلِمَ باليقين أنهما لا يُدرَكان بالحِسِّ والمشاهَدة في هذه الدنيا علِمنا أنهما مما اختصتْ بهما قلوب المقرَّبين والسابقين إلى رضوان الله –عز وجل- وإلى جنات النعيم.

وفي هذا يقول ابن القيم –عليه رحمة الله تعالى-: "ولقد جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصول أعمال القلوب وفروعها كلها في كلمة واحدة؛ في قوله في الإحسان: **" أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ**

كَأَنّكَ تَرَاه"، قال: "فتأمّل كل مَقام من مقامات الدِّين وكل عمل من أعمال القلوب كيف تجد هذا أصله ومنبعه". فأصل ومنبع كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب هو أن تعبد الله كأنك تراه. ولذلك كان الإحسان في العبودية أعظم مقامات الدِّين، وهو الذي ينبثق عن مراقبة العبد لسيده ومولاه العظيم الجليل –سبحانه وتعالى-.

ولكي نوضِح المراقبة لله –عز وجل- نقول: إنّ المراقبة تستلزم -وطبعا هذا كمال المراقبة- إنّ كمال المراقبة تستلزم تمام العلم وكماله؛ بأن الله -سبحانه- مطلع على عمل العبد في الظاهر والباطن، وهذا يكون مع إحسان العمل لله -عز وجل-، وهو متحقِّق بالنظر إلى هذه الآيات التي ذكرها المصنف –عليه رحمة الله تعالى-، وهي آيات عظيمة ينبغي تدبرها وتفهّمها.

أقول: إن تحقُّق هذا المقام يكون بتحقُّق النظر إلى هذه الآيات التي ذكرها المصنف – رحمه الله تعالى-، وذلك كما سيأتي في أحوال المحسنين أنهم قد استكمَلوا مراقبتهم لله -عز وجل- وقد سبقوا في ذلك بقية عباد الله -سبحانه وتعالى-.

والمقرَّبون المحسنون هم على قسمين:

١. القسم الأول هو أعظم منزلة واقرب منزلة وأكمل منزلة؛ وهو الذي ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: " **أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنّكَ تَرَاه**" وهذه يسمِّيها أهل العلم "عبادة الطلب"؛ وهو أن تعبد الله -عز وجل- وأنت مشتاق إليه وإلى عبادته -سبحانه وتعالى-.

٢. وأما المقام الثاني من مقامات المقرَّبين -وهم أقل مرتبة من المرتبة الأولى- وهذا المقام هو الذي ذكره النبي صلي الله عليه وسلم بقوله: **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"**، وهذه يسمِّيها أهل العلم "عبادة الهرَب".

ولا يعني قولنا أنّ هذا المقام –المقام الثاني- أن قولنا أنه أدنى مرتبة من المقام الأول، لا يعني ذلك نقص مرتبتهم؛ بل هم من السابقين المقرَّبين، وهم من أولياء الله الصالحين.

أقول: لا يعني نقص مرتبة هؤلاء عن الأُولى أنهم عندهم من النقص ما يستوجِب ويستلزِم الحطَّ من مرتبتهم ومكانتهم؛ بل هم من السابقين المقرَّبين وأولياء الله الصالحين وأحبة رب العالمين -سبحانه وتعال-.

والفرق بين المنزلتَين:

أنّ أصحاب المرتبة الأُولى غلب عندهم محبة إطلاع ربهم على حُسْن عملهم، فاستوجَبوا مقام الطلب.

وأما أصحاب المرتبة والمنزلة الثانية قد غلب عندهم خوفهم من اطلاع ربهم -سبحانه وتعالى- على تقصيرهم في أعمالهم.

وكلهم من السابقين. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء -سبحانه وتعالى-. ونحن لا نملك إلّا ذِكْر أفضال هؤلاء والثناء عليهم، وسؤال ربنا -سبحانه وتعالى- أن يبلغنا مراتبهم ومنازلهم.

فهؤلاء الذين استوجبوا محبة الله -سبحانه وتعالى-، واستوجبوا رضا رب العالمين -عز وجل-، وحُقَّ لهم أن يفرحوا بذلك، وحُقَّ لهم أن يهنئوا بذلك. وهؤلاء هم قليل في هذه

الأمة، كثيرة أفضالهم على هذه الأمة، عددهم قليل وفضلهم عظيم، هؤلاء هم أحبة الله، وأولياء الله، ونحن –كما ذكرنا– لا نملك إلى ذكر أفضالهم والثناء عليهم، فأين نحن من هؤلاء؟ نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا ولو أن نتشبه بهم وبأعمالهم، فالله –سبحانه وتعالى– يتفضل على عباده وعلى أوليائه بالنِّعم، ولا شك أن أعظم النعم هي التي تورثِ العبد كمال المراقبة لله– عز وجل – فكأنه يرى الله –سبحانه وتعالى– بقلبه، فيظفر من ذلك بتواضع القلب لله –عز وجل، وتمام ذله له وكمال محبته لربه –سبحانه وتعالى–، وصدق إخلاصه، وتوكله ورجائه وقصده لربه –سبحانه وتعالى–.

ولكن هنا ينبغي التنبيه على أمر مهم، وهو أن مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان ومرتبة الإحسان، هذه المراتب الثلاث لا شك أنها تتفاوت، ولكن لابد أن يُعلَم أنّ كل مسلم من المسلمين عنده من الإيمان ومن الإحسان ما يصح به إيمانه.

ولا يعني أن الناس على ثلاث مراتب لا يعني ذلك أن المسلم ليس عنده شيء من مرتبة الإيمان ولا من مرتبة الإحسان، بل لا بد من أن يوجَد عنده شيء من الأعمال الباطنة وأصول الأعمال الباطنة، وكذا لابد أن يوجَد عنده شيء من مراقبته لله –عز وجل–، وهذه المراقبة يتفاوت فيها الناس، ولكن تبقى إطلاق هذه المراتب على من استحق كل مرتبة منها من عباد الله –عز وجل–. فنسأل الله –عز وجل– أن يبلّغنا هذه المراتب وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

ثم ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– الدليل على مرتبة الإحسان من الكتاب فقال:

[المتن]

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[1].

[الشرح]

قال: (﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾) فذكر –رحمه الله تعالى- أول الأدلة على مقام الإحسان.

وهذه الآية التي ذكرها المصنف –رحمه الله تعالى- فيها بيان أمرٍ مهم يندرِج تحت عقائد أهل السنة والجماعة؛ وذلك في قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ، فهو –سبحانه- مع الذين اتقوا ، وهو –سبحانه- مع الذين هم محسنون، وهذه المعية من الله –عز وجل- الموجودة في هذه الآية تقتضي وتستلزم وجود أمرَين مهمَّين:

١. الأمر الأول: تستلزم النصر والتأييد والتسديد والتوفيق إلى إصابة الحق. فهي هذه المعية يتفاوت الناس فيها بحسب نَيلهم من هذه المرتبة؛ مرتبة الإحسان، وكلما ازداد إحسان المرء في عبادته لله –عز وجل- ازداد تحصُّله من هذه المعية.

٢. والأمر الثاني من الأمور التي تستلزمها هذه المعية هي: أن هذه المعية تستلزم الإحاطة، فإن الله –سبحانه وتعالى- محيطٌ بأعمال عباده، ومحيطٌ بظواهرهم وببواطنهم، -سبحانه وتعالى-، وهذه المعية لا يتفاوت فيها الناس، فالله –سبحانه وتعالى- مطلع على جميع العباد، محيط على أعمال جميع العباد.

[1] [النحل: ١٢٨]

وأما معية النصر والتأييد والتسديد والتوفيق فهذه يتفاوت فيها الناس، وقد قال هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، فبقدْر نَيلك يا عبد الله من التقوى وبقدر نيلك من الإحسان فإنك تنال من النصر والتسديد والتوفيق من الرب –سبحانه وتعالى-.

ثم ذكر قوله –تعالى-:

[المتن]

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2].

[الشرح]

قال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ابتدأ –سبحانه وتعالى- بذكر التوكل وبالأمر بالتوكل على الله –سبحانه وتعالى-.

فإنّ مِن تمام التوكل على الله –سبحانه وتعالى- أن يَعلم العبد أن الله –سبحانه وتعالى- يراه حين يقوم، ويراه حين يتقلب، ويراه على كل حال، وأنه -سبحانه وتعالى- سميع لما يصدر منه، عليم بما يقوم به من الأعمال وبما يصدر من هذا العبد من الأعمال، ولذلك قد أمر –سبحانه- بالتوكل عليه -عز وجل-.

ووجه الشاهد من هذه الآية هو قوله: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾، وقد مرّ معنا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".

[2] [الشعراء: ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠]

ثم ذكر قوله –سبحانه وتعالى-:

[المتن]

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [٣].

[الشرح]

وهذا كما ذكرنا أيضا دلّ عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**". وهذا يوضِح تمام المراقبة لله –عز وجل-؛ حيث أنه –سبحانه- محيط بأعمال عباده مطَّلع على دقائقها وتفاصيلها وقد قال –سبحانه -: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾، ومن المقرَّر عند أهل العلم أنه إذا وَرَدَ في الكلام نفي أو نهي مع الاستثناء فإنه يفيد الحصر والقصر، فقوله – سبحانه-: ﴿ **وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ** ﴾ هذه نافية، لا تعملون من عمل ﴿ **إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً**﴾. فليس هنالك عملٌ إلا والله –سبحانه وتعالى- شاهد عليه مطلع عليه –سبحانه وتعالى- ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [٤] ويعلم ما تسرون ويعلم ما تعلنون، نسأل الله سبحانه أن يرزقنا مقام المراقبة له –عز وجل-.

ثم ذكر المصنف حديث جبريل –عليه الصلاة والسلام-، وهذا الحديث أصل من الأصول في معرفة دين الإسلام والتي ينبغي على طالب العلم أن يستحضرها معه، فإن هذا الحديث قد حوى مراتب الإسلام الثلاث.

---

[3] [يونس:٦١]

[4] [غافر: ١٩]

وهذا الحديث قد دلّ على مراتب الإسلام الثلاث، وإن كان المصنف –رحمه الله– قد أورده في مرتبة الإحسان، وهو دليل –كما ذكرنا– على المراتب الثلاث.

المرتبة الأولى هي التي ذكرها حين سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: " **أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ**"، فأخبره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام فقال: "**الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ** – أي جبريل– **ثُمَّ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ**"، ومَن نظر إلى الإسلام يرى أن الإسلام قد فسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأركان الخمسة، وهذه الأركان الخمسة كلها من الأركان العملية التي تقوم بالجوارح، شهادة أن لا إله إلا الله فلابد فيها من النطق باللسان وأن محمدا رسول الله؛ ، وتقيم الصلاة؛ وهي من أعمال الجوارح والأركان، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا.

وأما مَن نظر إلى تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإيمان فإنه قد قال: "**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**"، فقد حوى هذا التفسير لأعمال القلوب واعتقادات القلوب.

ثم سأل عن مرتبة الإحسان، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**"، وهذا هو أعظم المراتب.

ونحن كنا قد تكلمنا سابقا عن الإسلام، وتكلمنا عن الإيمان، وتكلمنا عن الإحسان، وأما بقية الحديث فلعل إن شاء الله إن يسر الله أن يُذكَر معناه في مقام آخر، وذلك لكي

نحرص –إن شاء الله– على أن يكون كلامنا منصبًّا في مقصَد تأليف هذه الرسالة كي لا نخرج عنها.

ثم ندخل في الأصل الثالث –إن شاء الله–، ونحاول أن نختم شيئا من الأصل الثالث فيما تبقى معنا في هذا الوقت –إن شاء الله–.

[المتن]

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنْ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًا وَرَسُولًا.

نُبِّئَ بِإِقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِيْنَةِ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[5]

[الشرح]

يقول –رحمه الله تعالى–: (**الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) ومعرفة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه محمد قد اختلف في ذلك أهل العلم على قولين:

١. القول الأول: أنه يكفي في ذلك أن اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد.

[5] [المدثر: ١ – ٧]

٢. والقول الثاني: أنه لابد أن يعلم العبد أنه محمد بن عبد الله أو أنه من قريش.

والحق أنه يكفي في ذلك أن اسمه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك مأخوذ من الشهادة بأن محمدا رسول الله، فإن العبد يدخل في دين الإسلام بأن يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمدا رسول الله.

فلابد من تحقُّق هذا الأمر؛ وهو أن يعلم أن اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ورد في تسمية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث، من ذلك ما جاء في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بما معناه-: **"أَنَا اسْمِي مُحَمَّدٌ وَالحَاشِرْ وَالعَاقِبْ"**- ونسيت الرابعة، الله أعلم-.

ومحمد معناه: كثير الخصال التي يُحمَد عليها.

وأما العاقِب: فقد فسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الأحاديث أنه الذي ليس بعده نبي.

والحاشِر معناه: الذي يُحشَر الناس على قدمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكذلك جاء هناك أسماء أخرى نسيتها الآن، إن شاء الله إن استحضرتها -إن شاء الله- أذكرها.

نعم، الأسماء التي وردتْ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقِب.

جاء في الحديث: الماحي: الذي يمحو الله به الكفر.

والحاشر: الذي يحشر الناس على قدمه.

العاقب: الذي ليس بعده نبي.

وقد جاء في بعض الأحاديث أنها أكثر من خمسة، لكن يقول الصحابي راوي الحديث يقول: "قد حفظتُ منها خمسة"، أو بنحو هذا الكلام. خمسة أسماء وردتْ في تسمية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولابدّ لتحقق الشهادة بأن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله، لابد فيها من أربعة أمور:

١. الأمر الأول: هو كما جاء في كلام الصنف –رحمه الله– سابقا: طاعته فيما أَمَرَ.

٢. الأمر الثاني: تصديقه فيما أخبر .

٣. الأمر الثالث: اجتناب ما نهى عنه وزجر.

٤. الأمر الرابع: ألا يُعبَد الله إلا بما شرع.

هذا تفسير شهادة أن محمدًا رسول الله؛ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبَد الله إلا بما شرع.

قال–رحمه الله–: (**مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ**)، وأبو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله قد مات عندما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْلًا في بطن أمه. ومن المعلوم أن أمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ماتت وعمره ست سنين على ما يُذْكر في السِيَر، وأما عبد المطلب فهو جده.

ومعروف الآن نسبة الناس إلى الذين ينتسبون إلى آل البيت أنهم ينتسبون إلى بني هاشم ويقال لهم فلان الهاشمي، نسبة إلى بني هاشم إلى بيت النبوة.

وبنو هاشم هم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، طبعا ليس كل العرب، وليس هذا مراد المصنف، ليس كل العرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، ولكن النبي صلى الله عليه سلم من العرب الذين هم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم – عليهم أجمعين الصلاة والسلام–.

قال: (**وَلَهُ مِنَ العُمُرِ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ**)، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات عن ثلاث وستين سنة، على المشهور، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمضى من عمره أربعين سنة قبل أن يُبعَث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيا.

قال: (**وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًا وَرَسُولًا**)، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ثلاث وعشرين سنة، وسيأتي معنا كلام المصنف وإن كان يُراد به على أقوال أهل العلم التقريب، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمضى ثلاثة عشر سنة في مكة، وعشرة سنين في المدينة، والمصنف قد ذكر في هذه الرسالة أنه أمضى وأخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِجَ به إلى السماء، قد ذكر ذلك المصنف –رحمه الله– ولعله يريد بذلك التقريب، كما سيأتي معنا إن شاء الله.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمضى ثلاثة عشر سنة في مكة، وهذه الثلاثة عشر سنة هي دعوة إلى توحيد الله –عز وجل–، ومما يُذكَر هنا في هذا المقام أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَما كان في مكة كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلّما أُمِرَ بشيءٍ من الشرائع، ورد أنه أُمِرَ بالصلاة، وعلى خلاف بين أهل العلم متى فرِضَت عليه الصلاة؟ والمصنف –رحمه الله– قد ذكر أنها بعد

عشر سنين من مَبعثِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والخلاف في ذلك بين أهل العلم، وأقلّ ما قيل في ذلك سنة وستة أشهر قبل الهجرة إلى المدينة، وأكثر ما قيل في ذلك خمسة سنين قبل الهجرة إلى المدينة، واختلفوا، والمصنف ذكر ثلاثة سنين قبل الهجرة إلى المدينة، ولعله لا يندرِج تحت ذلك كثير فائدة إلا ما يُذكَر في مسألة الصلاة وليس هذا موضعه.

قال: (**نُبِّئَ بِإقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بالمُدَثِّر**) أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْلِمَ بأنه نبي بنزول قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ [6] الآيات، وهي التي جاء في الصحيحين وغيرهما في قصة بدء الوحي، حين جاء جبريل –عليه الصلاة والسلام– إلى النبي صلى اله عليه وسلم فأخذه وضمّه ضمًا شديدا ثم أرسله وقال:" **اقْرَأْ، فقال: مَا أَنَا بِقَارِئ**؛ أي لست أعلَم القراءة، لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أمِّيًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **ثُمَّ أَخَذَنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْد ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَال: مَا أَنَا بِقَارِئ** -وَفِي رِوَايَة قَال: **قُلْت: مَا أَقْرَأ؟ ثُم أَخَذَنِي الثّالِثَة وَضُمّنِي حَتّى بَلَغ مِنّي الْجَهْد ثُم أَرْسَلَنِي وَقَال: اقْرَأ، قُلْت مَا أَقْرَأ؟ قَال**: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ** ﴾ " [7] الآيات، أي الآيات التي قد بُعِثَ بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو نُبئ وأُعلِم أنه من الأنبياء.

وأرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدثر أي أُمِرَ بتبليغ الرسالة بالمدثر في قول الله –عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾[8].

[6] [العلق: ١، ٢]

[7] [العلق: ١، ٢، ٣]

[8] [المدثر: ١-٥]

قال: (**بَلَدُهُ مَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِيْنَةِ. بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ**)، وقد ورد في ذلك آيات في الكتاب العزيز أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أُمِرَ بالدعوة الى توحيد الله –عز وجل– بل القرآن كله دليل على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسِل بالدعوة إلى توحيد الله –عز وجل– .

قال: (**وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾**) [٩]

ثم شرح المصنف –رحمه الله تعالى– هذه الآيات.

قال:

[المتن]

وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيْدِ

[الشرح]

أنذِر الناس عن الشرك وادعهم إلى التوحيد، لأن من المعلوم أن الذين أُرسِل فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرج عليهم كانوا منهم من يعبد الأحجار، ومنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأشجار، ومنهم من يعبد غير ذلك، فأرسل الله –سبحانه وتعالى– نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يدعو إلى التوحيد.

قال:

[المتن]

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

[الشرح]

وطبعا هنا المصنف –عليه رحمة الله تعالى– يذكر بعض الأقوال التي قيلت في تفسير هذه الآيات، وبعض أهل العلم وبعض المفسرين من يذكر غير هذا التفسير، ولكن لا شك أن

[9] [المدثر: ١-٧]

ما يذكره المصنف هنا داخل ولو في صورة العموم تحت هذه المعاني؛ قال: (**أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.**)

[المتن]

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ

[الشرح]

وطبعا هنا قولان في هذه الآية: من أهل العلم من يقول مِن أهل العلم مَن يفسرها على ظاهرها ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر الثياب وطهر البدن.

ومنهم من يقول أي طهر أعمالك من الشرك وطهر أعمالك مما يخالطها مما لا يبتغى به وجه الله –عز وجل–. فذكر المصنف –رحمه الله– هذا التفسير وهو مشهور عند السلف.

قال:

[المتن]

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلَهَا.

[الشرح]

وهذه مسألة مهمة كنا قد تكلمنا عنها عند حديثنا عن الولاء والبراء، قلنا أن الأصنام لا بد من هجر الأصنام ولابد من هجر أهل الأصنام، فلابد في البراءة أن يتبرأ الإنسان من ثلاثة أشياء في باب الشرك:

١. لا بد أن يتبرأ من الشرك نفسه.

٢. ولابد أن يتبرأ أيضا من أهل الشرك.

٣. ولا بد أن يتبرأ من الذين أُشرِكَ بهم ومن الأشياء التي أُشْرِكَ بها.

هذه ثلاثة أشياء التي لا بد أن يتبرأ منها العبد في باب الشرك. لابد من البراءة من هذه الثلاثة أشياء.

قال:

[المتن]

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِيْنَ يَدْعُو إِلَى التَّوحِيْدِ. وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ

[الشرح]

وكما ذكرتُ على خلاف بين أهل العلم في سنة الإسراء والمعراج، اختلف أهل العلم في ذلك.

ومما يُنَبَّه عليه في هذا المقام، أنّ كثيرًا من الناس يعتقد أن الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا القول ليس عليه دليل وليس عليه شيء يدل عليه، والمشكلة أن كثيرا من الناس يقصد هذا اليوم بالتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى- بما لم يشرعه –سبحانه وتعالى-، وهو مخطئ في تحديده لهذا اليوم، ومخطئ في تقرّبه إلى الله –عز وجل- بما لم يشرعه –سبحانه وتعالى- وبما لم يأذن به –سبحانه وتعالى-، فالحق أن يقال لابد أن يعلم الناس وننشر بين الناس أن هذه العبادات التي يتقرّب بها الناس في هذه الليلة أو في هذا اليوم ليلة الإسراء والمعراج أن هذه الأعمال كلها مما لم يأذن به الله –عز وجل- ومما لم يشرعه –سبحانه وتعالى-؛ بل هي من البدع التي ما أنزل الله –سبحانه وتعالى- بها من سلطان، ويجب أن يحذر منها العبد ويحذِّر أهله وإخوانه وأن ينصح لهم برفق ولين وأن يبصرهم بدينهم وأن يعينهم على اتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبعد عن سنة غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن هنا نتكلم عن معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الأصل، نتكلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكرنا أن في معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإيمان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلنا لابد من أربعة أمور، وذكرنا أنّ من هذه الأمور ألا يُعبَد الله إلا بما شرع. فننشر –إن شاء الله- هذه الأمور بين الناس، ونبصرهم بهذه المسائل، ونحذرهم من أفعال البدع وطرائق أهل البدع وما قد يتحصل من ذلك من أعمال التي لم يأذن بها رب العالمين –سبحانه وتعالى-.

قال المصنف –رحمه الله تعالى-: (**ثم عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ**)، وقصة الإسراء والمعراج معروفة مشهورة في البخاري ومسلم وغيرها من دواوين أهل السنة.

قال: (**وَصَلَّى فِيْ مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِيْنَ**) وكما ذكرتُ هذا على خلاف بين أهل العلم، أقل ما قيل في ذلك هو سنة ونصف قبل الهجرة، وأكثر ما قيل خمس سنين، والخلاف في ذلك بين أهل العلم، والله أعلى وأعلم وصل الله على نبينا محمد.